جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

عروبة بيت المقدس

للدكتور
إسحاق موسى الحسيني

العدد ٦٧

القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى

عروبة بيت المقدس

للدكتور
إسحاق موسى الحسينى

العدد [٦٧]

القاهرة

رمضان ١٤٢١هـ - ديسمبر ٢٠٠٠م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق
نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

أ . د . عبد الصبور مرزوق
نائب رئيس
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عروبة بيت المقدس لا تحتاج إلى إثباتها بالدليل لأنها جزء عريق من تاريخ المدينة التى لم تعرف التهويد إلا فى هذا الزمن الردئ الذى أصبحت فيه القوة الغاشمة هى لليهود ومن خلفهم أمريكا ، والتى تفرض نفسها على الأرض وتحاول - بالأمر الواقع - أن تفرض نفسها على التاريخ .

ولن أدخل فى مجال التوثيق والتأكيد لإثبات هذه العروبة تاركًا ذلك لهذه الدراسة القيمة التى يقدمها المجلس عن « عروبة القدس » .

* * *

أما الذى يعنينى - ونحن نمر اليوم بأصعب مراحل الصراع بين الفلسطينيين واليهود الذين تساندهم أمريكا بالمال والسلاح ، وأيضاً بالدعم السياسى والتأييد الدولى كما هو معروف ، ولأنى ، وفى ضوء معطيات الواقع الذى عشناه منذ ١٩٤٨م إلى اليوم لأنى أرفض مبدأ المفاوضات والمصالحات والاتصالات السلمية وحواديتها فإنى أقول وبكل وضوح :

إن عــروبــة القــدس لن يثـبـتـهـا ويؤكـدهـا إلا الاستجابة الجادة والمتصلة لأمر الله تعالى فى قوله : ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ [1] .

فاللغة الحاسمة التى لا يفهم اليهود غيرها هى اللغة التى أمرنا بها القرآن وأثبتت التجربة التاريخية أنها اللغة التى يستجيبون عندها .

وأمامنا الدليل العملى - المشهود - فيما قام به شباب حزب الله فى الجنوب اللبنانى الذين استنزفوا منهم الكثير من القتلى ، وزرعوا فى قلوبهم الرعب ليس فقط بفعل صواريخ الكاتيوشا ، ولكن بفعل العزائم الإيمانية ، وأسلوب الاستشهاد فى سبيل الله وفى سبيل الحق والقضية العادلة .

* * *

لقد أثبتت سياسة اللين مع قتلة الأنبياء وأبناء القردة أنه لا جدوى من الاستمرار فيها لاسيما بعدما أسفرت الولايات المتحدة عن مظاهرتها لليهود (ورحم الله عبد الناصر حين كان يقول : « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ») .

وأعتقد أننا نحن العرب والمسلمين قد أعطينا للعالم أكبر فرصة - سواء فى مؤتمر شرم الشيخ أو مؤتمر القمة العربية -

---

(١) سورة البقرة : ١٩١ .

وأعطينا أكبر الأدلة على رفض العرب للحروب والرغبة فى التعايش السلمى .

لكن الأحداث المباشرة والمجازر اليهودية التى مارسها ويمارسها اليهود كل يوم مع الإخوة الفلسطينيين تؤكد أن عروبة القدس مهددة بطرد أبنائها منها سواء بالتهجير أو بالإبادة ويومها لن تكون هناك قدس عربية بل ولن يكون هناك أى مجال للحديث عن عروبة القدس .

وأكرر قول الحق سبحانه : ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** ﴾[1] .

والله غالب على أمره ..

أ . د . عبد الصبور مرزوق

---

(١) سورة البقرة : ١٩١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [1].

صدق الله العظيم

قال الشاعر ابن مطروح :

المسجد الأقصى له عادة	سارت فصارت مثلاً سائراً
ما غدا بالكفر مستوطنا	أن يبعث الله له ناصراً
ناصرٌ طهَّره أولاً	وناصرٌ طهَّره آخراً

(١) الإسراء : ١ .

تمهيد

مدينة بيت المقدس عربية قديماً وحديثاً

إن كل بقعة من وطننا الغالى مقدسة لأنها مجبولة بدماء الآباء والأجداد ، ولأن فيها نمت حضارتنا وازدهرت حتى تفيأت أوروبا ، بعد القرون الوسطى ، وشاركت فى جنى ثمارها .

ولن يفرط الأبناء بتراث الآباء ، وسيدافعون عن كل شبر من وطنهم الغالى دفاع الأسد عن عرينه .

وبيت المقدس صرة هذا الوطن المقدس ، وملتقى أقطاره ، ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ، ومهبط الوحى ، ومنزل ينزل به الأمر والنهى ، وهو البكر الذى بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى أكرمه برسالته ، وشرفه بنبوته »[1].

فهى عزيزة علينا ، دنيا ودينا ، قديما وحديثاً ، ولن يفرط فيها عربى ، مسلماً كان أم مسيحياً .

وما يحتج به بنو إسرائيل من قدسية وتاريخ وذكريات يحتج بمثله العرب ، ويزيدون بما لا يملك الإسرائيليون ،

---

(١) مجير الدين الحنبلى ، (الأنس الجليل) القاهرة ١٢٨٣هـ ج ١ ص ٢٩٦ .

ولو شقوا المرائر ، ومزقوا الثياب [(١)]، وانتحلوا الأسباب .

أولاً : إن بيت المقدس كنعانية - عربية - أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها منذ أكثر من ألفى سنة . ومن اسمها الكنعانى العربى اشتق اسمها العبرى واسمها الغربى [(٢)].

ثانياً : إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) وموسى لم يملكوها . ولو كان وعد الله لهم حقا ، أو لو كانوا خليقين بالوعد لظفروا بها . بل إن إبراهيم لم يجز لنفسه أن يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجه سارة . فالتجأ إلى (بنو حث) أصحاب الأرض وقال لهم : « أنا غريب ونزيل عندكم . أعطونى ملك قبر معكم لأدفن ميتى من أمامى » . فقبل (بنى حث) طلبه لأنه رئيس من الله بينهم . ولكن إبراهيم عرض ثمنا لمغارة كان يملكها عفرون بن صوحر ليتخذها مقبرة . فرفض عفرون الثمن وعرض المغارة هبة . ولكن إبراهيم أصر على الشراء ودفع الثمن نقداً [(٣)].

---

(١) كان بعض المهووسين من اليهود إذا قربوا من البراق الشريف المسمى عندهم بحائط المبكى يمزق ثيابه مبالغة فى إظهار حزنه .

(٢) انظر فصل أسماء بيت المقدس .

(٣) سفر التكوين ٢٣/٢-١٦ .

ونحن نقول : ما معنى الوعد ؟ وكيف فهمه إبراهيم ؟ ولِمَ لَمْ تعد الأرض التى وعدها الله بها ملكا له حقا ؟ ولِمَ أصر على دفع ثمن الكهف ، مع أن صاحبه عرضه عليه هبة ؟ وإذا كان الحال كذلك مع إبراهيم ، صاحب الوعد الأول ، أيجوز أن يستولى بنو إسرائيل اليوم على مئات القرى والمدن العربية بالإرهاب والقوة ؟ .

ثالثاً : إن داود فتح يبوس يبوس ، بيت المقدس فى القرن الحادى عشر ق . م ، ودام حكمه هو وابنه سليمان نحو ثمانين سنة . ثم انشقت مملكة داود إلى إسرائيل ويهوذا ، وأضحت المدينة عاصمة يهوذا وحدها. وفى سنة ٥٨٦ ق .م أطاح البابليون بيهوذا وسبوا أهلها . وإذن فحكمهم لم يزد عن ٤١٨ سنة ، إذا تجاوزنا عن فترة الانشقاق .

وحدث لداود ما حدث لإبراهيم . فقد أراد أن يقيم مذبحاً فى بيدر أورونة اليبوسى . وعرض اليبوسى على داود بيدرة مجانية . ولكن داود أصر على دفع ثمن البيدر . وبنى داود هناك مذبحاً للرب [1].

وانظر كيف اشترى داود أرضا فى (بيت المقدس) ودفع لصاحبها اليبوسى ، العربى ، ثمنها ، ومع أنها مخصصة للعبادة ، فى حين يغتصب اليوم بنو إسرائيل أراضى العرب فى بيت المقدس ويطردون أصحابها ، ويهدمون بيوت العرب ،

---

(١) صموئيل الثانى ٢٤/١٨-٢٥ .

ويشردون ساكنيها دون أن يستيقظ ضميرهم ، أو أن يتعظوا على الأقل بإبراهيم وداود .

ومع ذلك ففى خلال الحكم الإسرائيلى ظل العرب اليبوسيون - ويسميهم العهد القديم أحياناً « الإسماعيليين » - يعيشون فى مدينتهم المقدسة . وبذلك يمكن القول إن العرب لم يقطعوا صلتهم بمدينتهم المقدسة حتى فى زمن الاحتلال الإسرائيلى الغابر ! .

رابعاً : إن الكنعانيين أنشأوا فى البلاد حضارة ضخمة أطنب فى وصفها مؤرخو البلاد المقدسة ، فى حين لم ينشىء اليهود حضارة ولم يوفروا أمناً . « كان الكنعانيون خلال ألفى سنة جسراً بين مدن الحضارة على الفرات والنيل . ومنهم أخذ اليونان الحروف ونقلوها إلى العالم . وتأثر الإسرائيليون بحضارة الكنعانيين ، فأخذوا حروفهم التى كتب بها العهد القديم وتأثروا بأسلوبهم الشعرى وبموسيقاهم وبدينهم »[1] .

أما الرسالة الروحية التى أكرمهم الله بها فلم يقدروها حق قدرها ، فعبدوا الأوثان ، وقتلوا الأنبياء بغير حق . وحين أقبل سليمان على بناء الهيكل استعان بحورام ملك صور ، وبالكنعانيين المهرة ، أو بنص العهد القديم ، أرسل إليه « رجلا

(1)The Westminister Historical Atlas to the Bifle , London p . 33 .

صوريا ماهرا فى صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والأرجوان والأسمانجونى والكتان والقرمز » . وعدَّ سليمان جميع الرجال الأجانب الذين فى أرض إسرائيل ، بعد الوعد الذى وعدهم إياه أبوه ، فوجدهم مائة وثلاثة وخمسين ألفا وستمائة (١٥٣٦٠٠) فجعل منهم سبعين ألف حمال ، وثمانين ألف قطاع على الجبل ، وثلاثة آلاف وستمائة لتشغيل الشعب [1] .

وإذن فقد استعانوا وهم فى عصرهم الذهبى وفى أرقى مرحلة عرفت فى تاريخهم بالكنعانيين - فى بناء هيكلهم .

خامساً : دمر الرومان أورشليم - التاريخية - مرتين ومحوا اسمها جزاء أعمالهم ، وتحقيقاً لنبوءة أنبيائهم ولنبوءة السيد المسيح ، وبذلك انقطعت صلتهم بالمدينة وبالأرض وبالهيكل مدة ثمانية عشر قرنا متواصلة . قال ابن البطريق فى تاريخه وهو يتحدث عن الخراب الثانى الذى أوقعه إيليا أدريانوس (هادر يانوس) : « وهذا آخر خراب ببيت المقدس . فمن اليهود من هرب إلى مصر ، وإلى الجبال والغور . وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودى . وأن تقتل اليهود ويستأصل جنسهم . وأن يسكن المدينة اليونانيون . وأن تسمى باسم إيليا . فسميت بيت المقدس - منذ ذلك الوقت إلى هذه الغاية ،

(١) أخبار الملوك الثانى ٢/١٤،١٧-١٨ .

مدينة إيليا . فسكنها اليونانيون وبنوا على باب الهيكل الذى يقال له البهاء برجا ، وصيَّروا فوقه لوحا كبيراً ، وكتبوا اسم الملك إيليا . فمن الخراب الأول الذى أخربه طيطس إلى هذا الخراب ثلاثة وخمسون سنة (١) .

وبعد ذلك حل التشرد Deaupora والاضطهاد منذ الحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر للميلاد إلى النازية فى أواسط القرن العشرين . وكان أشد ما وقع بهم زمن محاكم التفتيش فى أسبانيا فى القرن الخامس عشر ، وفى روسيا فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم فى ألمانيا الهتلرية . وكانوا ينتقلون من بلد إلى آخر حتى ضرب المثل « باليهودى التائه » . وأين كان ملاذهم ؟ .

فتح لهم العرب والمسلمون بلادهم وأووهم وأحسنوا إليهم ويسروا لهم العبادة . وصلاح الدين الأيوبى عطف علي أكبر فلاسفتهم ، موسى بن ميمون وقربه وعينه طبيبا له . وفى كنف المسلمين ترعرعت آدابهم وفلسفتهم فى أسبانيا والعراق وشمالى أفريقيا .

قال إبراهام هلكن الإسرائيلى Abraham Halkin فى كتابه « الانصهار العظيم » The Great Fusion : « إن قانون الإيمان الإسلامى تسرب إلى الكتب اليهودية . واقتبس اليهود عادة العرب فى ذكر الشعر فى مؤلفاتهم وكتبهم . والكتابات

---

(١) نشر شيخو ، بيروت ١٩٠٤ ج ١ ص ١٠١ .

اليهودية ملأى بالفقرات من مؤلفات العرب العلمية والفلسفية والدينية . ولقد كان الأدب العربي ، القومي منه والمستقى من مصادر أجنبية التربة التي نبتت عليها جميع ما كتبه اليهود . وليس من الغريب إذن أن يحدث تجديد في اللغة العبرية بين اليهود في الامبراطورية العربية .

« كان اليهودي في العالم العربي يشعر بالكفاية والأمن والطمأنينة بدون أن يحتاج إلى صهر شخصيته في سكان فلسطين وأرضها . في هذا العالم كان اليهودي يحس أنه ينزل في وطنه ويقيم بين أهله . ولقد كان آمنا ومطمئنا ومندمجا في هذا العالم ، ومتفائلاً بمستقبله ، واختبارات اليهود خلال القرون التي ساد فيها الحكم العربي تشكل مرحلة ذات مغزى ومعنى عظيمين من مراحل الإنجازات العلمية والاجتماعية التي أنجزها أفراد الطائفة اليهودية » [1] .

ولكن علاقاتهم السياسية بفلسطين والقدس انصرمت منذ أدريانوس ولم يبق لهم منها إلا ذكريات أقرب إلى الأوهام والأحلام منها إلى الحقائق .

وكانت عودتهم إلى بيت المقدس بعد التشرد على قلة حيناً واستخفاء حينا آخر . ولم يهاجر إليها إلا المتدينون والفقراء

---

(١) وقد روى هذا النص المحامي العربي إلياس كوسا في كتابه « قضت مضاجعهم » الذي نشره في حيفا سنة ١٩٦٠ . الكتاب نفسه مطبوع في تل أبيب .

والعجزة الذين كانوا يبغون الموت فيها . وقد كتب القنصل الأمريكى ويلسون سنة ١٨٧٨م يقول : « ويهود القدس خاصة فقراء كسالى ضعاف الأجسام والعقول . ويبدو أن القدس هى محطة يتلاقى فيها اليهود المتعصبون المشوهون العجائز ليعيشوا هنا على الشحاذة والإحسان وليقضوا بقية العمر ينوحون أمام حائط المبكى »[1] .

سادساً : حكم العرب فلسطين نحو ثلاثة عشر قرنا متواصلة خلال فترة حكم الصليبيين . ولكن عروبة البلاد وما أنشىء فيها من مساجد ومدارس وزوايا وأسواق وصناعات ، ظلت على حالها حتى فى أثناء حكم الصليبيين . وكانت لغة البلاد العربية حتى فى أثناء الحكم العثمانى . ولم تهدم (بيت المقدس) العربية ولم تمس مقدساتها بسوء . فالحضارة التى عرفتها المدينة ترجع إلى الحكم العربى وحده دون سواه . وقد أرخ ذلك مجير الدين الحنبلى فى كتابه (الأنس الجليل) بإسهاب لا نظير له .

سابعاً : كان سكان المدينة المقدسة فى أثناء تلك القرون عرباً لساناً وحضارة قلباً ومشاعر . ولم يكن اليهود أكثرية فيها فى

---

(١) (بين أمريكا وفلسطين) . تأليف فرانك ١. مانويل . ترجمة يوسف حنا ، عمان ١٩٦٧ ص ١٥ وانظر ص ١٦، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠ .

أى وقت من الأوقات ، خلاف ما ذهب إليه حاييم وايزمن فى مذكراته [1] ومغالطتهم بأنهم كانوا فى المائة الأخيرة أكثرية مردود من جملة نواح :

فاليهود الطارئون على المدينة نزلوا خارجها . وقلة ضئيلة جداً منهم نزلت داخلها . والقدس القديمة هى التى أعاد العرب بناءها وأنشأوا فيها المساجد والمدارس والأسواق والأحياء وما تملكه اليهود فيها نسبة لا يؤبه لها ولا يحتفل بها .

وقد ورد فى الوثائق الرسمية أن عدد العرب فى القدس القديمة سنة ١٩٤٧ هو ٣٣٫٦٠٠ نسمة وكان عدد اليهود ٢٫٤٠٠ نسمة فقط [2] .

أما اليهود الذين وفدوا على المدينة الجديدة فقد دخلوها بحيل مختلفة فى أثناء الحكم العثمانى وفى عهد الانتداب الظالم . وعدد كبير منهم عدته حكومة الانتداب نفسها مهاجرين غير شرعيين لمخالفتهم قوانين الهجرة . والأراضى التى نزلها هؤلاء المهاجرون غير الشرعيين أراض عربية اقتطعت من القرى العربية .

---

(١) الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٤٥ .

(٢) تقرير جون مارتن أثبته عارف العارف فى (المفصل فى تاريخ القدس) القدس ١٩٦١ ص ٤٣٠ .

والدليل على ذلك أن رؤساء بلدية القدس - العمد أو المحافظون - كانوا طوال المائة سنة الأخيرة عرباً [1] ، مع تشدد الحكومة فى الإحصاء وفى الانتخابات ، لانحيازها دوما إلى اليهود .

والزيادة التى يدعيها اليهود - مع عدم شرعيتها - مردها إلى إهمال إحصاء سكان القرى العربية المحيطة بالمدينة . ومع أن أراضى المدينة الجديدة من القرى العربية نفسها فإن اليهود كانوا يصرون على حرمان سكان تلك القرى من التصويت كى يفوزوا برئاسة المدينة . ولكنهم لم يحققوا أمنيتهم ، وظلت المدينة عربية كلها ، قديمها وجديدها ، عربية بعدد سكانها وبرئاستها ، وبما يحيط بها من قرى آهلة بالسكان ، رغم جميع الحيل والألاعيب .

ثامناً : إن حكومة الانتداب التى التزمت بسياسة (الوطن القومى) لم تأخذ بالحجة اليهودية ، ولم توص يوماً « بتهويد » المدينة المقدسة . وأقصى ما ذهبت إليه التوصية « بتدويل » المدينة ، ولو ثبت لليهود ما ادعوا من أكثرية لكانت حكومة الانتداب أول من جاراهم وحقق أطماعهم .

---

(١) وهم على التوالى : حسين سليم الحسينى ، موسى كاظم الحسينى ، راغب النشاشيبى ، مصطفى الخالدى ، حسين فخرى الخالدى ، منذ سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٨.

وبعد ، فإن مدينة القدس عربية ، منذ عرفت فى التاريخ إلى أن غزاها الإسرائيليون حديثاً وجثموا على صدرها ، عربية دنيا وديناً ، سكانا ومنازل ، ذكريات وواقعاً ، شرعاً وعرفاً . ولن يتخلى عنها أهلها ولن يخذلوها . وأهلها هم جميع العرب ، مسلمين ومسيحيين ، فى المشارق والمغارب .

***

الفصل الأول

أسماء بيت المقدس

أسماء بيت المقدس

إنى لا أستطيع أن أكتم شعورى نحو مدينتى الحزينة المتشحة بالسواد . وإنه ليطيب لى أن أردد ذكرها صباح مساء ، وأن أسبح بحمدها ، وأن أصف محاسنها ، وأن أذكر أسماءها وتاريخها وعلماءها وأدباءها ومساجدها وكنائسها ، وكل ما يتصل بها من قريب أو من بعيد . أليست هى مسقط رأسى ، وموطن آبائى وأجدادى ، ومهبط الأنبياء ، ومنبع الرسالات والقبلة التى تتجه نحوها قلوب المؤمنين . ليس فى العالم كله مدينة تحاكيها فيما اجتمع فيها من آثار مقدسة ، منذ أربعة آلاف سنة إلى اليوم ، ولا فيما تثيره فى أعماق النفس من مشاعر الإجلال والتقديس ، ولا فيما تبعثه فى القلب من أنس وبهجة .

لقد سبقنى ابن مدينتى الحزينة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى المقدسى) ، المولود فيها ، إلى وصفها فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) فى القرن الرابع الهجرى ، أمام جمع من العلماء فى مدينة البصرة ، فقال : « قلت : أما قولى أجل مدينة فلأنها جمعت الدنيا والآخرة . فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها . وإن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها ،

وأما طيب الهواء فإنه لا سم لبردها ، ولا أذى لحرها . وأما الحسن فلا نرى أحسن من بنيانها ولا أنزه من مسجدها . وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال ، والأشياء المتضادة كالأترج والرطب والجوز والتين والموز . وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى . فأى أرض أوسع منها ؟ فاستحسنوا ذلك وأقروا » (١) .

وإن وجد فى هذا الوصف غلوٌ فمردُّه إلى الوفاء لأمنا الأرض الطيبة وصدق الزمخشرى حين قال :

أحب بلاد الله شرقاً ومغربا   إلى التى غذيت فيها وليدا

فاللهم ارحم بيت المقدس ، واكشف غمتها ، وأزل كربتها ووحد قلوبنا عليها ، واجمع شملنا فيها .

وبعد فلهذه المدينة المقدسة أسماء كثيرة وردت فى كتب المؤرخين والجغرافيين ، منها يروسالم ويروشالايم وشلَّم (بفتح الشين وتشديد اللام المفتوحة) وشَلِم (بفتح الشين وكسر اللام) وشَلَم (بفتح الشين واللام) وسَلَم (بفتح السين واللام) ويبوس وصهيون وموريا وإيلياء وبيت المقدس والقدس وما إليها . فما معنى هذه الأسماء ، وما سبب كثرتها ، وما صواب نطقها ؟ .

---

(١) طبع ليدن ١٩٠٦ ص ١٦٥ .

١- تذكر معاجم (الكتاب المقدس) أن أقدم اسم للمدينة ورد فى « نصوص الطهارة » Execration Texts المصرية ، فى القرن التاسع عشرقبل المسيح ، بصورة « يورو شاليم » وكانت يومذاك مركزاً لعبادة الكنعانيين الذين سكنوا البلاد قبل بنى إسرائيل . والراجح أن الاسم مركب من كلمتين : يورو وشاليم . ويورو معناها تأسيس أو مدينة وشاليم اسم إله كان الكنعانيون يعبدونه [1] ، والتفسير بأن معناها مدينة السلام غير دقيق لا من ناحية الاشتقاق ولا من ناحية التاريخ .

وورد ذكرها فى رسائل تل العمارنة فى القرن الرابع عشر ق . م باسم يوروسالم Urusalim ، ثم بعد ذلك فى النقوش الأشورية أوروسليمو Urusilimu [2]. ووردها بالشين حيناً وبالسين حيناً آخر مألوف فى اللغات السامية فهذان الصوتان يتعاوران . ولهما أمثلة كثيرة أقربها شلوم وسلام ، وشم واسم فى العبرية والعربية .

٢-وأقدم اسم لها فى (العهد القديم) هو شاليم . والراجح أنه اختصار للاسم الكامل يورو شاليم . وجاء ذكرها فى سفر التكوين - أول أسفارالعهد القديم - بمناسبة قدوم أبرام - إبراهيم - العبرانى إلى أرض الكنعانيين ، منتصراً على

---

(1) Lexicon invetris Testamenti libros Leiden 1951 , P . 403 .

(2) The Tnterpreters , Dictionary of the Bible New Yourk 1962 .

أعدائه ، إذ خرج الملوك لاستقباله ومنهم « ملكى صادق ملك شاليم . أخرج خبزاً . وكان كاهناً لله العلى . وباركه وقال : مبارك أبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض . مبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك . فأعطاه - إبراهيم - عشراً من كل شىء [1].

وقول مجير الدين الحنبلى فى (الأنس الجليل) [2] : « إن سفينة نوح سارت حتى بلغت بيت المقدس ، وقالت يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذى يسكنه الأنبياء من أولادك . وقوله : إن سام بن نوح هو أول من بناها ، وكان ملكاً عليها ، وكان يلقب (ملكيا صادق) وأنه سماها يروشلم بمعنى بيت السلام » . كل ذلك يحتاج إلى تصحيح . فملكى صادق ليس هو سام بن نوح . وروشلم ليس معناها بيت السلام ، كما مرّ .

ومن المحتمل أن المؤرخ أبا الفرج المعروف بابن العبرى - المتوفى سنة ١٢٨٦م - هو مصدر مجير الدين . فقد ذكر فى كتابه (مختصر الدول) أن ملكى صادق هو الذى بنى (قرية السلام) [3]. ونقل عن مجير الدين وابن العبرى مؤرخون محدثون .

٣- وثانى اسم لها فى العهد القديم « أورشليم » ، وهو الاسم

(١) ١٤/١٨ .

(٢) القاهرة ١٢٨٣ هـ ص ٩ .

(٣) ص ١٦ .

الكنعانى القديم قبل قدوم العبرانيين إلى أرض كنعان وورد ذكرها أول مرة فى سفر يشوع [١] حين « سمع أدونى صادق ، ملك أورشليم أن يشوع - يشوع بن نون الذى رافق موسى فى خروجه من مصر ، وكان أحد اثنين سلما من التيه ودخلا البلاد المقدسة - قد فتح بعض البلدان الكنعانية - وإن سكان جبعون صالحوا إسرائيل ، فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة ، ملك أورشليم وملك حبرون .. ونزلوا على جبعون وحاربوها . وإذن كانت أورشليم تطلق على مملكة الأمورى أدونى صادق . ثم يرد الاسم ثانية فى سفر القضاة [٢]. حين حارب بنو إسرئيل الكنعانيين وأخذوا أورشليم وضربوها بحد السيف ، واشعلوا المدينة بالنار . وحين ظهر الملك داود وحارب الفلسطينيين ، أولاً جنديا فى جيش شاؤل [٣] نراه يدفن أحد الفلسطينيين فى أورشليم ، ثم بعد أن أخذ الملك من شاؤل ذهب إلى أورشليم إلى اليبوسيين ، وفتحها واتخذها عاصمة ملكه مدة ثلاث وثلاثين سنة ، ووحد إسرائيل ويهوذا [٤]. وشرع فى بناء الهيكل الذى

---

(١) ١٠/١-٥.

(٢) ١/٨.

(٣) صموئيل الأول ١٥/٣٥، ٦٧/٥٨.

(٤) صموئيل الثانى ٥/٥ .

أتمه بعده ابنه سليمان ، ونقل إليه تابوت العهد . وأمست المدينة منذ ذلك الحين ، مقدسة فى نظر اليهود .. ولكن النطق العبرى لأورشليم هو « يروشالايم » والظاهر أن اليهود حرفوا الاسم أو عبرنوه حتى يتوهم الناس أن المدينة عبرانية الأصل . وقد تكون اللاحقة للتثنية كقولهم مصرايم - أى المدينتان - فى العبرية ، وقد تكون للمكان . ولكن هذه العبرنة لم توجد عند جميع اليهود . فكعب الأحبار ، مثلاً ، يسميها « أورى شلم » فى حديثه عنها إلى عمر بن الخطاب - حسب رواية ابن جرير الطبرى [١]. ويذكر محمد بن عبد الله الزركشى فى (إعلام الساجد بأحكام المساجد) أن اسمها أورشلم حسب رواية أبى عبيدة معمر بن المثنى . وأنشد الأعشى .

وقد طفت للمال آفاقه　　　عمان فحمص فأورشليم[٢].

وفى كلتا الروايتين لا ذكر للاحقة (يم) ، ويدعم هذا الرأى أن النطق اليونانى القديم Hierousalim وما تبعه فى اللغات الأوروبية Jerusalem يخلو من هذه اللاحقة . وأيد ذلك أيضاً مؤلفا Encyclopedia , Biblica قائلاً : إن هذه الصورة - أى بإثبات اللاحقة (يم) - اختارها الـ Messorates وحدهم - أى رجال المازورة الذين أثبتوا نص العهد القديم فيما بين

(١) التاريخ ٤/١٦١ .

(٢) ص ٢٧٨ .

القرن السادس والعاشر الميلادى [١]- على كل حال ، فالاسم كنعانى قديم ، والمدينة كنعانية قديمة ، وجدت قبل داود بنحو تسعمائة سنة . وبداية الاسم بالياء بالعبرية مطابق للنطق الكنعانى . وبدايته بالهمزة على وفق النطق الأشورى والسريانى والعربى [٢].

٤- وثالث اسم لها فى العهد القديم هو (يبوس) . وجاء فى سفر القضاة ١٠/١٩ أن يبوس هى أورشليم . كان ذلك اسمها قبل أن يفتحها داود . ويقول علماء العهد القديم أن هذا الاسم مشتق من اسم قبيلة اليبوسيين التى كانت تعيش فيها ، كما أن باريس مشتقة من قبيلة باريسى Perisi . ولكن - كما هو واضح سابقاً - ليس ذلك أول اسم لها . ولم يتمكن الإسرائيليون من الاستيلاء على المدينة حين قاتلوا الكنعانيين بقيادة يوشع بن نون . وفتح الملك داود حصن صهيون أنهى حكم اليبوسيين [٣].

---

(1) Ency Biblica London , 1899 , vol . II p . 2407 .
(2) Ibid .
(3) The Interpreter's Dictionary of the Bible , New York 1962 ,P . 807 .

٥- ورابع اسم لها فى العهد القديم هو « صهيون » [١] وهو أصلاً اسم الحصن الذى استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسيين ، وأقام فيه ، وبنى المدينة حوله . ثم استعمل مرادفاً لمدينة داود [٢] . وربما اشتق الاسم من العبرية - صيون - بمعنى الأرض الجافة ، أو من العربية صهوة بمعنى أعلى كل جبل أو البرج فى أعلى الجبل [٣] . وتذكر صهيون فى الكتب الشعرية وفى كتابة الأنبياء بأنها العاصمة الدينية ، والمكان الذى يمتحن به الرب المؤمنين [٤] . ويقارن سكان صهيون فى سفر عاموس بسكان السامرة [٥] . وكثر استعمال الاسم فى العهد القديم وأشاد اليهود بذكره .

ومن هنا نسب الإسرائيليون السياسيون الداعون إلى إقامة دولة فلسطين العربية حركتهم إلى صهيون ، بعد مضى نحو ثلاثة آلاف سنة على حكم داود . ويبحث علماء الآثار الآن عن جبل صهيون والمدينة والمؤكد عندهم أن جبل صهيون لا يقوم

---

(١) صموئيل الثانى ٥/٦-١٠ وأخبار الأيام الأول ١١/٥ .

(٢) الملوك الأول ١/٨ و ١١/٥ .

(٣) المصدر رقم ٥ .

(٤) أشعيا ٢٨/١٦ .

(٥) عاموس ١/١٦

فى الجهة الجنوبية الغربية من بيت المقدس كما كان يعتقد المسيحيون منذ القرن الرابع الميلادى ، وإنما على قمة التلة الشرقية [1] . وعلى كل فأن الرومان فى القرنين ، الأول والثانى بعد المسيح ، هدموا المدينة والهيكل ، حتى أصبحا أطلالاً . والبحث عنهما بقصد إعادتهما يدعو إلى قلب الأرض رأساً على عقب ، حقيقة ومجازاً .

٦- وخامس اسم لها هو « مدينة داود » جاء فى صموئيل الثانى ٧/٥ « وأخذ داود حصن صهيون ، هى مدينة داود وورد الاسم مراراً فى العهد القديم مرادفاً لصهيون [2] .

٧- وسادس اسم لها هو : « أريئيل » ، كما ورد فى سفر أشعياء ١/٢٩ « ويل لأريئيل لأريئيل قرية نزل عليها داود » . « ومعنى الاسم أسد الله أو مسكن الله » [3] .

٨- وسابع اسم لها هو « موريا » . ويطلق الاسم على التل الصخرى حيث بنى سليمان الهيكل . جاء فى أخبار الأيام الثانى ١/٣ « شرع سليمان فى بناء بيت الرب ، فى أورشليم ،

---

(1) The Interpreter's Dict of the Bible , Volume p, 959 .

(٢) صموئيل الثانى ٥/٧ أخبار الأيام الأول ٥/١١ ، الملوك الأول ٨/١ إلخ .

(٣) المصدر رقم ٦ ج١ ص ٢١٨ .

فى جبل المريا حيث تراثى لداود أبيه ، حيث هيأ داود مكاناً فى بيدر أرنان اليبوسى » . وهذا الجبل هو الذى أمر الله إبراهيم أن يصعد إليه ليذبح ابنه امتحاناً له ، ثم منعه ، حسب ما ورد فى سفر التكوين [1]. ويحتمل أن يكون اشتقاق الاسم من مادة رأى العبرية والعربية - فيكون المعنى أرض الرؤية[2].

هذه هى الاسماء التى وردت فى العهد القديم . على أن اسم أورشليم هو الأشيع منذ فتح داود المدينة إلى منتصف القرن الثانى للميلاد . وقد تكرر ذكره فى ثلثى العهد القديم ونصف العهد الجديد . وهو الذى قدسه الإسرائيليون ودار على ألسنتهم وترنموا به فى شعرهم .. ومن ذلك ما جاء فى المزمور المائة والسابع والثلاثين :

« كيف ترنم ترنيمة الرب فـــى أرض غـــريبة ؟
ليلتصق لسـانى بحنكى إن لم أذكـــرك
إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى »

ويقول الفرد ليلنيتال الإسرائيلى المعارض للصهيونية فى كتابه (ثمن إسرائيل) : إن فكرة دولة إسرائيل بقيت حية فى كلمات هذا المزمور ، وأن منها نبتت بذور الصهيونية الوطنية ، مع أن أنبياءهم عاموس وأرميا وميخا وأشعياء لم يوجهوا اهتمامهم إلى استعادة السلطة الزمنية وإنما حصروه

---

(١) ٢٢/١-١٤.

(٢) المصدر رقم ٦ جزء ٣ ص ٤٢٨ .

فى دفع الظلم عن بنى قومهم ، وحثهم على عبادة الله والتمسك بالفضيلة [1].

ولم يسع المعرى ، وهو المتعالى عن السفساف ، إلا أن يقول [2]:

ترجو يهود المسيح يأتى وتأمل الدهر أن يهودا !
وكيف ترعى لهم عهود من بعد ما ضيعوا العهودا ؟
وكل ما عندهم دعاو حتى يقيموا به الشهودا
غدوا وأشياخهم لجهل كولدة أوطنوا المهودا
وليس بيتى على الروابى وإنما ألف الوهودا

٩- وثامن اسم لها إيلياء ، وزن كبرياء ، أو إيليا ونادراً إليا ، وهو أول اسم لها بعد العهد الإسرئيلى . ولذا لا ذكر له فى العهد القديم . واشتقاقة من اسم الامبراطور الرومانى Aelius Hadrianus - الذى عاش من سنة ٧٦ -١٣٨م - وهو الذى هدم مدينة أورشليم للمرة الثانية ، وبعد طيتوس الرومانى الذى هدمها سنة ٧٠م . وبنى هدريانوس مكانها سنة ١٣٥م مدينة أسماها باسمه الأول Aelia Capitolina - أى إيليا العظمى - ليمحو من الوجود كل أثر يهودى فيها .

وحاول المؤرخون العرب أن يفسروا معنى الاسم . فقال البكرى فى « معجم ما استعجم » [3]: إن معناه « بيت الله » ،

---

(١) بيروت ١٩٥٤ ص ٧-٨ . (٢) اللزوميات مصر ١٨٩١ ج ١ ص ٢٧٤ .

(٣) طبع غوتنجن ١٨٧٧ .

وتبعه ياقوت الحموى فى « معجم البلدان »[1] فأورد ثلاثة وجوه : بيت الله ، والأرض الحزن ، وأنها سميت باسم بانيها إيلياء بن إرم بن سام بن نوح . وتبعهما مجير الدين الحنبلى ، فقال فى (الأنـــس الجليل) : معناه بيت الله المقدس . وهذا اجتهاد محمود من علمائنا الذين أرادوا أن يقفوا على بواطن الأمور ، ويفسروا معانى الأسماء ، وإن جانبهم الصواب أحياناً . وربما حملهم على التفسير الأول بداية الاسم بايل ، ومعناها الله ، ولم يفطن ياقوت إلى أن إيليا اسم رومانى أصلا فربطه بإيلياء بن أرم ابن سام .

ظل اسم إيلياء سائدا نحو مائتى سنة ، إلى أن جاء الامبراطور قسطنطين المتوفى سنة ٣٣٧م - وهو أول من تنصر من أباطرة الرومان - فألغى اسم إيلياء وأعاد اسم أورشليم . ولكن الظاهر أن إيلياء شاع وظل مستعملا . فالعهدة العمرية صدرت بعبارة « هذا ما أعطى عبد الله عمر أهل إيلياء من الأمان » ، بالنص الذى أثبته ابن جرير الطبرى فى تاريخه [2] . ، وابن هشام فى سيرته ، والبلاذرى فى « فتوح البلدان » ، والبكرى فى « معجمه » وياقوت فى « معجم البلدن »، يذكرون إيلياء . ويستشهد ياقوت ببيت للفرزدق هو :

---

(١) ج ١ ص ٣٩٢ .

(٢) الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ج ٤ ص ١٥٩.

وبيتان ، بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى إيلياء مشرف

وبيت آخر لأعرابى :

فلو أن طيراً كلفت مثل سيره إلى واسط من إيليا لكلت [1].

ومع ذلك ورد فى نص أثبته الطبرى على لسان كعب الأحبار وهو يتحدث إلى عمر بن الخطاب عن بيت المقدس اسم « أورى شلم » . وكان كعب يكره اسم إيلياء ، ويؤثر اسم « بيت الله المُقدّس » [2]. وهو أمر طبيعى .

١٠- وتاسع اسم هو بيت المقدس ، وهو الاسم الذى شاع بعد الفتح الإسلامى . واختلف فى تخريج المقدس ، مع إجماع على أنه من مادة قدس بمعنى الطهارة . فذهب أبو على الفارسى [3]. على أنه يحتمل أن مصدراً كقوله تعالى : ﴿ **إليه مرجعكم جميعاً** ﴾ . ونحوه من المصادر . ويحتمل أن يكون مكاناً على معنى أنه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة ، أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام ، وقال ابن منظور فى اللسان : القدس السطل بلغة أهل الحجاز ، لأنه يتطهر فيه . ومن هذا بيت المقدس أى بيت المطهر الذى يتطهر به من الذنوب .

---

(١) ج ١ ، ص ٣٩٢ .

(٢) إعلام الساجد للزركشى . القاهرة ١٣٨٥هـ ، ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٧ .

والقدس : البركة . والأرض المقدسة . الشام منه . وبيت المقدس من ذلك أيضاً . فإما أن يكون على حذف الزائد ، وإما أن يكون اسما ليس على الفعل . كما ذهب إليه سيبويه فى المنكب ، وهو يُخفف ويُثقل . ولم يرد فى المحيط وتاج العروس إضافة . بل إن التاج أغفل بيت المقدس كلية .

وهذه الشروح تحدث وسوسة ، لا سيما ذكرها على وجه الاحتمال . ونقول اجتهادا ، واحتمالا أيضاً ، لعل الاسم منقول عن النصوص الواردة فى العهدين ، القديم والجديد . ففى المزامير جاء فى النص العبرى « عير الوهيم » ، وترجمت فى النص العربى « مدينة الله » [1] . سفر نحميا جاء فى النص العبرى « عيرها قدس » وترجمت فى النص العربى « مدينة القدس » [2] . وفى إنجيل متى ورد فى النص العربى . و« المدينة المقدسة » [3] ، يقابله فى النص السريانى « بيت مقديشو » أى بيت المقدس . وإذا صح استقراؤنا يكون الاسم منقولا عن نصارى السريان .

والذى يرجح هذا الاحتمال أمران : الأول أننا تتبعنا مادة ق د س فى القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية ، وفى المعاجم القديمة ، فلم نجد فيها ذكراً لقدس الثلاثى ومشتقاتها . وورد فيها جميعاً وزنا قدس وتقدس فحسب ، والثانى أن الذوق

(١) ٤٦/٤ . (٢) ١/١١ . (٣) ٥٣/٢٧ .

العربى لا يستسيغ تركيب بيت المقدس بمعنى « بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة » بتكرير المكان ، كما خرجه الواحدى رواية عن أبى على الفارسى [١] .

أما القدس ، وقدس الأقداس ، والمقدس ، فألفاظ شائعة فى العهد القديم . وهى ، بلا شك ، مشتقة أصلاً من مادة ق د س السامية بمعنى طهر أو حرم [٢] . وهى ذات دلالة دينية . فالقدس هو مكان فى الهيكل يتعبد فيه الكاهن ، ويفصل بينه وبين قدس الأقداس حجاب . وقدس الأقداس هو المذبح ، وهو مُتَعبد كبير الأحبار . وفى سفر اللاويين ينهى الرب هارون عن دخول القدس كل وقت داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت [٣] . والمقدس مكان القدس .

يضاف إلى ذلك أن بيت المقدس ترد فى المصادر العربية القديمة مرادفة لمسجده ومن ذلك ما رواه النسائى وابن ماجة فى سننهما مرفوعاً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال :

---

(١) إعلام الساجد ص ٢٧٧ .

(2) The Saurus , Linguae Hebraecae et Chaldacae , Lipsiae 1840 ,11,1195 .

(٣) ١/١٦ و عدد ٣/١٨ .

« إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثة ، فأعطاه اثنتين ، وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة . وعن كعب الأحبار سليمان بنى بيت المقدس على أساس قديم . وذكر ابن هشام فى كتاب التيجان أن آدم لما بنى البيت أمره جبريل بالمسير إلى بيت المقدس فبناه ونسك فيه (١). وجاء فى سيرة ابن هشام رواية عن ابن إسحاق : ثم أسرى برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو البيت المقدس (٢). وجاء فى تاريخ الطبرى : ثم قام - عمر - من مصلاه إلى كناسة كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ، زمن بنى إسرائيل (٣). وفى مسند ابن حنبل حديث مرفوع : « عليك ببيت المقدس أن ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون » (٤).

فهذه النصوص جميعها تجعل بيت المقدس مرادفة للمسجد وفقدان بيت المقدس هو فقدان المسجد الأقصى ، بل فقدان مساجد الله المقدسة فى فلسطين كلها .

وأطلقت بيت المقدس على المدينة نفسها ، فى العهد الإسلامى ، وحلت محل إيلياء الرومانية ، وأورشليم الإسرائيلية ، واليهود - ممن أسلم أو لم يسلم - كرهوا اسم إيلياء لما ترمز إليه من جبروت الرومان . وأورشليم - بأية صورة رويت -

---

(١) إعلام الساجد ص ٢٨٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢ .

(٣) (٤٦) ١٦/٤ .

(٤) مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٦٧ .

لا يستسيغها الذوق العربى .

ووردت لبيت المقدس صور مختلفة ، منها البيت المقدس وبيت القدس ، وبيت القُدُس ، والقدس ، والقدس الشريف والمدينة المقدسة . على أن الاسم الأشيع هو بيت المقدس ، ويبدو أن اسم القدس استعمله أهل الشام وأطرافها ، كما ذكر ناصرى خسرو [1] . وكثيرا ما ترد هذه الصورة المختلفة فى كتاب واحد كما نجد مثلاً ، فى « معجم البلدان » لياقوت ، و« الأنس الجليل » لمجير الدين .

ووردت أسماء أخرى مصدرها اختلاف الترجمة . منها (دار السلام) و(مدينة السلام) [2] . و (قرية السلام) [3]. وذكر الفيروز أبادى فى محيطه شلّم ، وشلّم ، وشلِم (بتشديد وفتح وكسر اللام على الترتيب) وذكر ياقوت (أوريشلم) ، بفتح اللام وكسرها وسكونها . وروى بطرس البستانى فى دائرة المعارف (يبوش شليم) أو (يبوس سليمان) . وهذه روايات نادرة ولا تخرج عن الأصول التى ذكرناها .

عد الزركشى للمسجد الأقصى سبعة عشر اسما ، رواية عن ابن خالويه ، شملت جميع الأسماء التى أثبتناها لبيت المقدس ، عدا ثلاثة ، استدركها الزركشى نفسه هى بيت المقدس ،

---

(١) سفر نامة ، القاهرة ١٩٤٥ ص ٤٩ .

(٢) أثبتها سعد بن يوسف الفيومى ٩٤٢ فى ترجمته لكتاب المقدس .

(٣) ذكرها ابن العبرى المتوفى ١٢٨٦ فى تاريخه .

وبيت القدس ، ومسجد إيليا . ومعنى ذلك أن اسم المدينة أطلق على مسجدها الأكبر ، والحق مع ابن خالويه ، فإن المسجد الأقصى ، سواء أكان مسجد عمر أم مسجد الصخرة أم كليهما ، هو قدس أقداس المدينة ، ودرتها اليتيمة ، بل هو أثر إسلامى فريد ، عده بعض علماء الآثار « أجمل الآثار التى خلدها التاريخ » (1).

***

(1) Hayter Lewis, The holy places of Jerusalem P. 26.

نقلا عن عارف العارف فى كتابه « تاريخ الحرم القدسى » القدس ١٩٤٧ ص ١٣ .

الفصل الثانى

الآثار الإسلامية فى بيت المقدس

قبل الفتح العمرى

الآثار الإسلامية فى بيت المقدس قبل الفتح العُمرىّ

عن عطاء الخراسانى قال : « بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء ، ووالله ما فيه شبر إلا وقد سجد فيه نبى » وهذه العبارة على إيجازها تختصر تاريخاً طوله نحو أربعة آلاف سنة .

ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات السماوية الثلاث : الموسوية ، والمسيحية ، والإسلام ، كمدينة بيت المقدس وبالتالى لا يعرف التاريخ مدينة مثلها عُمرت بالكُنس [1] ، والكنائس ، والمساجد ، والديارات ، والزوايا ، والتكايا ، والمدارس والمقابر ، وما إلى ذلك من أماكن مقدسة .

وأراد المؤمنون أن يعبروا عن مشاعرهم الروحية نحو هذه المدينة فاستعانوا بالفن ، وأطلقوا يده يزركش ويزخرف وينقش ، حتى أضحت المساجد والكنائس أيات فنية غاية فى الروعة .

---

(١) بوزن (فعل) بضمتين : جمع كنيس وهو معبد اليهود .

ولسنا نعرف الصورة التى كان عليها هيكل - مسجد سليمان عليه السلام - ولكن إذا قسنا الماضى بالحاضر تبين لنا أن الموسويين كانوا أقل عناية بالتعبير الفنى عن مشاعرهم الدينية من المسيحيين والمسلمين ، فالكنس الموجودة فى بيت المقدس ، وفى غيرها من بلاد العالم ، معابد بسيطة جداً أشبه بمساجد المسلمين فى دورها البدائى ، وليس فى ظاهرها ما يميزها ويدل عليها كما هو الحال فى المساجد والكنائس فلا مآذن ولا أبراج ولا أجراس ولا زخارف معينة . وربما يسترعى النظر فيها ضخامة الحجارة والأعمدة .

ومعظم الكنس فى بيت المقدس كانت واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخى الذى جدد زمن السلطان سليمان القانونى فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى ، وأقدمها يرجع إلى بداية القرن الثامن عشر .

وعلى ذلك يصح القول إن معظم الآثار الموسوية فى بيت المقدس قد درس ، وأضحى - بحق - كباقى الوشم فى ظاهر اليد . على أن الإسلام حافظ على ما بقى منها بعد أن عدها من آثار أنبياء الله المرسلين ، وبالتالى من آثار الإسلام نفسه الذى ترجع أصوله إلى أبى الأنبياء إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، وهذا موقف خليق بالتأمل ، فالقرآن الكريم جاء مصدقاً لما سبقه من الكتب المنزلة ، ومحمد عليه الصلاة السلام جاء خاتم الأنبياء ، منذ بداية النبوة إلى زمن عيسى ابن مريم ،

عليهما السلام ، وهذا سر ما يتصف به الإسلام من سماحة وسجاحة ، فالمسلم يؤمن بموسى وعيسى ، ويؤمن بكتبهما الصحيحة ، ويحترم كل أثر من آثار الأنبياء بقدر ما يحترم آثاره هو .

ومن أقدم الآثار الموسوية التى رعاها المسلمون وعدوها جزءاً من تراثهم الدينى مسجد سليمان - وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان - ومما يسترعى النظر فى صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق ، وهذه السلسلة تنسب إلى سليمان بن داود ، وقد كتب فوق محرابها : ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق** ﴾[1] .

وأبلغ من ذلك دلالة أن المسلمين أنشأوا مسجدا فى مكان يسمى « مقام النبى داود » على ربوة جبل صهيون ، سدنته أسرة مسلمة كبيرة هى آل الداودى نسبة إلى داود (والآن تعرف بالدجانى) . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن فى هذاالمقام قبر النبى داود كشمس الدين المقدسى ، ومجير الدين الحنبلى وعبد الغنى النابلسى ، وفى داخل الحرم - الذى يضم المسجدين العظيمين الأقصى والصخرة - جامع يسمى جامع قبة موسى ، وجامع يسمى جامع كرسى سليمان ، وكلاهما تؤدى فيه الصلاة ،

---

(١) سورة ص : ٢٦ .

هذا عدا الآثار التى تقع خارج بيت المقدس ، ومن أشهرها مقام نبى الله إبراهيم فى المدينة المسماة باسمه (الخليل) وفيه مسجد كبير .

ولم يتبن المسلمون أثرا من آثار السيد المسيح ، مع ما له من مكانة فريدة نص عليها القرآن الكريم . ويرجع ذلك إلى أن الأماكن المسيحية المقدسة كانت وقت الفتح الإسلامى فى حوزة المسيحيين أنفسهم ، ونصت العهدة العمرية التى كتبها عمر بن الخطاب لبطريرك بيت المقدس (أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم) . ويظهر أن الاحترام بين عمر بن الخطاب والبطريرك كان عظيماً ، فقد كانت كنسية القيامة أول معبد زاره عمر بعد الفتح ، وأراد البطريرك أن يكرم عمر فعرض عليه أن يصلى داخل الكنيسة حين أزفت ساعة الصلاة ، ولكنه أبى حتى تبقى الكنيسة خالصة لأصحابها .

ونصت العهدة على مسألة أخرى خليقة بالنظر ، وهى (أن لا يسكن بإيلياء - بيت المقدس - معهم أحد من اليهود) ولم هذا النص ؟ الواقع أن المسيحية أبطلت (العرقية) - بالنسبة إلى جنس معين - التى كان يؤكدها بنو إسرائيل ويتفاخرون بها .

فقد قال السيد المسيح : (ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا ، لأنى أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم) -متى ٣/٩- . وأكد ذلك بولس الرسول

بقوله : (ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد . بل بإسحاق يدعى لك نسل ، أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا) ، والمقصود بالموعد مجيء السيد المسيح - رسالته إلى أهل رومية ٦/٩ - وقال : (إن الذين يؤمنون بالله هم أبناء إبراهيم ، فالذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن) - رسالته إلى أهل غلاطية ٩/٣ - . وأكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين** ﴾ [1] . ومن هنا كانت القطيعة التى نص عليها عهد عمر بطلب من البطريرك ، فى أغلب الظن .

ونخلص إلى حقيقتين : الأولى أن الديانات لا تقوم على العرق ، فالحنيفية أو الموسوية ليست دين جنس معين من البشر ، والمسيحية ليست دين أمة معينة ، والإسلام ليس للعرب وحدهم ، وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب ، فى حين كان أعظم ما قصدته تجميع الناس على خير المثل العليا وأنبلها . والحقيقة الثانية أن الإسلام هو الوريث الشرعى لتراث الأنبياء ، لأنه آمن برسائلهم وآخى بينهم ، وبالتالى وَرِث المسلمون فى بيت المقدس المقدسات

---

(١) آل عمران : ٦٨ .

الموسوية وحافظوا عليها جزءاً لا يتجزأ من تراثهم الروحى ، والعودة إلى التراث الموسوى وإظهاره أشبه بهدم الطابق السفلى من البناء أو قطع جذور شجرة بحجة المحافظة عليهما ، فليتأمل فى ذلك اليوم المتأملون ولا سيما أولئك الذين يبغون هدم المسجد الأقصى بحثاً عن أنقاض هيكل سليمان .

الفصل الثالث

الآثار الإسلامية فى بيت المقدس

بعد الفتح العمرى

الآثار الإسلامية فى بيت المقدس بعد الفتح العُمرىّ

١- فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧ هـ ٦٣٨م ، وخف إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلمها من أهلها ، قاطعاً على نفسه عهد الله أن يصون أموالهم وكنائسهم ، ويرعى حقوقهم ، ويحقق لهم الأمن والسلامة .

منذ الفتح العمرى إلى اليوم والمسلمون يحتضنون المدينة المقدسة احتضان الأم وليدها ، ويحنون عليها حنو المرضعة على فطيمها .

ولا نعرف فى تاريخ الإسلام ، بل فى تاريخ الأديان السماوية جميعها ، مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم وحراسة وقد أولاها الخلفاء والأمراء والعلماء والصالحون كامل رعايتهم ، فأنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر ، وأوقفوا عليها معظم الأراضى المجاورة ، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديماً ، وأسسوا جديداً ، حتى أضحت تحفة منقطعة النظير .

ولم ذلك ؟ .

أولاً : لأنها موطن إبراهيم خليل الله ، ومقر الأنبياء ، ومهبط الوحى ، ومبعث عيسى ، كلمة الله التى ألقاها إلى مريم .

وثانياً : لأنها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة .

وثالثاً : لأنها مسرى رسول الله بنص القرآن الكريم .

ورابعاً : لأنها مفتاح الكعبة وقبر الرسول . من حازه تمكن من الأردن وما وراءه من بلاد ، لارتفاعها ومناعتها . وقد حدث سنة ٥٧٨هـ ، بعد أن نفذ الإفرنج من فلسطين إلى الأردن أن (قصد المقيمون منهم بالكرك والشوبك -من مدن الأردن - المسيرإلى مدينة الرسول لينبشوا قبره الشريف . وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم ، ويدفنوه عندهم ، ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل - ضريبة - فأنشأ البرنس أرباط ، صاحب الكرك ، سفنا حملها على البحر إلى بحر القلزم - البحر الأحمر - وركب فيها الرجال ، وسارت الإفرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة) [1]. ولكن الناصر صلاح الدين أرسل من هزمهم وأحبط مسعاهم .

وخامساً : لأنها عاصمة فلسطين ، ومتحف آثارها الدينية التى تجمعت مدة ثلاثة عشر قرناً وصلة الوصل بين الأقطار العربية ، والمنارة - بحق -التى يشع منها نور الهداية والخير .

---

(١) الأنس الجليل ج ١/ ٢٨٠ .

روى أبوعبد الله المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) أنه فضل القدس على مدن الدنيا فى مجلس عقد فى العراق ، فاستهول الناس قوله ، ولكنه علل حكمه بقوله : (.. وأما الفضل فلأنها عرصة القيامة ومنها المحشر ، وإنما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى ، ويوم القيامة يزفان إليها ، فتحوى الفضل كله .. فاستحسنوا ذلك منه وأقروه)[1].

٢- لم تمر بالمدينة المقدسة مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى ، على اختلاف دوله ، إلا أقام المسلمون فيها بناء جديداً ، أو أصلحوا بناء قديماً .

ففى عهد الخلفاء الراشدين أقام عمر بن الخطاب مسجداً ، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة أن أزال بيده ما تراكم عليها من تراب وأقام عليها مصلى .

وفى العهد الأموى بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ،ونقش اسمه على القبة من تاريخ البناء سنة ٧٢هـ . ثم توالى الخلفاء والأمراء فجددوا وزخرفوا حتى أضحى المسجد ، بشهادة أحد المؤرخين الغربيين (من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة ، لا بل أجمل الآثار التى خلدها التاريخ) . وبنى عبد الملك المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد ، وتوالى على تجديده وتزيينه بالنقوش والقناديل والسجاجيد عدد كبير من الخلفاء

---

(١) ص ١٦٥ .

والأمراء ، وأخرهم الملك المغربى المجاهد محمد الخامس الذى فرش مسجد الصخرة بالسجاد الفاخر ، وفيه تلقى خطبة الجمعة فتجيش القلوب وتفيض العيون بالدموع .

وبنى عدد من المسلمين قبباً فى صحن الصخرة وبجوارها قبة المعراج ، وقبة محراب النبى ، وقبة يوسف ، وقبة موسى ، وقبة سليمان ، وقبة الخضر ، ومحراب داود .

وبنوا فى الحرم وحوله مآذن وأروقة وأبواباً وسبلاً وصهاريج للاستسقاء ، وكل واحد منها أثر تاريخى عليه نقش أو شاهد ، وله سمة عصره من زخرف وخط ودعاء .

وبنوا فى مختلف العهود ، مساجد بلغت ٣٤ مسجداً ، معظمها فى داخل المدينة القديمة .

بنوا عدداً كبيراً من الزوايا ، يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية ، كالزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من أوزبكستان ، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند ، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الأفغان ، وفى كل زاوية مسجد وغرف للنوم ، ولها أوقاف .

وأنشأوا عدداً من المقابر الأثرية التى تضم رفات الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء ومجاهدين وحكام ، وفى (الأنس الجليل) أسماء من توفى ودفن فيها ، نذكر من الصحابة والتابعين : عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وفيروز الديلمى ، وسلامة بن قيصر، وذا الأصابع ، وأبا محمد البخارى .

وأنشأوا مدارس لطلب العلم ، بلغ عددها ٥٦ مدرسة حفلت بالعلماء من أهل المدينة وخارجها الوافدين من المشرق والمغرب ، وأوقفوا عليها المصاحف والمخطوطات النادرة ولا تزال معظم هذه المدارس قائمة حول الحرم بأبوابها الحديدية الكبيرة ونقوشها المزخرفة وساحاتها الواسعة ، وكان المسجد الأقصى نفسه يحتوى على مكتبة كبيرة كما كان الحال فى جامع قرطبة والأزهر والقيروان ، وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدرس والتدريس ، وفى المتحف الإسلامى - اليوم - صندوق كبير يضم مصحفاً مخطوطاً كتبه بيده أحد ملوك المغرب خصيصاً للمسجد الأقصى .

إن الكثرة العظمى من هذه الأماكن الإسلامية التى ذكرناها - عدا المقابر - قائمة فى المدينة القديمة المحاطة بسورها الأثرى الذى جدده آخر مرة السلطان سليمان القانونى فى القرن العاشر الهجرى . وإذا علمنا أن المدينة القديمة صغيرة ، إذ تبلغ مساحتها ٨٦٨ دونما - أى ٨٦٨ ألف متر مربع -يشغل منها الحرم القدسى وحده ٢٦ دونما ، تبين لنا صحة القول أن المدينة أضحت مع الزمن متحفاً أثرياً غنياً بالأبنية والنقوش والزخارف والقناديل النادرة التى لا تقدر بثمن ، ولا يمكن أن يوجد لها بديل .

كان سكان القدس القديمة ، حسب إحصاء سنة ١٩٤٧ ، نحو ٣٣٫٦٠٠ عربى مقابل ٢٫٤٠٠ يهودى ، أى نحو $\frac{١}{١٤}$ لا يملكون

إلا نسبة ضئيلة جداً منها ، أقل كثيراً من نسبة عددهم لكون معظم البيوت والحوانيت وقفاً إسلامياً ، ولتحريم القانون فى العهد العثمانى البيع لليهود . وتركز معظم اليهود فى حى واحد ، اسمه حى اليهود الذى يوجد فيه كنيسهم الأكبر ، وإذن فكل ما لليهود من أثر ذى قيمة هو حائط المبكى ، وهو بزعمهم جزء من سور كان حول الهيكل ، ولكن المسلمين ينازعونهم فى الحائط ، لأنهم يعدونه جزءاً من الحرم الشريف الذى يضم مسجدى الصخرة والأقصى ، كما يعدونه مربط البراق الذى أسرى به الرسول ، وهو فوق هذا وذاك وقف إسلامى لا ينازع فيه ، ولكن الصهيونيين غالوا فى تقويم المبكى لإثارة المشاعر الدينية لأسباب سياسية محضة .

والدليل على ذلك أن اللجنة الدولية التى تكونت سنة ١٩٢٩ للنظر فى الخلاف حول ملكية المبكى والبعداة فيه لم تقر وجهة النظر الصهيونية ، وحكمت - بعد دراسة وافية للوثائق - بإبقاء الحال على ما هو عليه ، ومنع اليهود من إدخال تغيير فيه ، والتسامح الإسلامى هو الذى حدا بالمسلمين إلى تيسير زيارة اليهود لتلك البقعة الإسلامية المقدسة .

والخلاصة أن الآثار الإسلامية تجعل من هذه المدينة المقدسة التى لم يفتأ المسلمون فى جميع عصورهم يرعونها بالإجلال والتعظيم ، ويتعهدونها بالتعمير والتجديد ، ومدينة أعظم شأناً فى نظرهم من (أورشليم) التاريخية فى نظر اليهود ، بل يمكن أن تقف فى صف واحد مع مكة والمدينة ،

ومن الناحية المادية والحضارية ليس لليهود أثر يذكر بشهادة جميع العلماءمسلمين ومسيحيين ، ولذا فإن التفريط فى هذه المدينة المقدسة هو تفريط فى أقدس مقدسات المسلمين ، وحرمان لهم من ممارسة شعائرهم الدينية التى كفلتها جميع الشرائع والقوانين وخطر على سائر مقدساتهم فى مكة والمدينة ، وافتئات على الأوقاف الإسلامية والملكية الفردية ، لا يمكن أن يصبر عليها المسلمون مهما تذرعوا بالحكمة وضبط النفس .

***

الفصل الرابع

مصير بيت المقدس

مصير بيت المقدس

١- ولداً اغتصاب إسرائيل بيت المقدس مشكلة على جانب كبير من الخطورة لمئات الملايين من المؤمنين : مسلمين ومسيحيين.

لقد توهمت إسرائيل أن المشكلة يسيرة ، وأن قرارا يصدره (الكنيست) بتوحيد شطرى المدينة المقدسة - يضع العالم أمام الأمر الواقع ، وينهى القضية إلى الأبد. ثم من لا يرضى يتكفل الزمن بإرضائه ، طال أم قصر .. !

ومن عجب أن مندوب الولايات المتحدة الأمريكية احتج - على طلب وفود فى هيئة الأمم - خروج إسرائيل من البلاد التى اغتصبتها - بأن عقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء بضعة أيام أما رجوع عقارب الساعة ألفى سنة ، والعودة إلى شريعة التدمير والقتل والسلب ، فأمر يسير لا يتطلب سوى قرار يصدره (الكنيست) ! .

إن تغييراً بسيطاً فى الحدود أمر مناف للطبيعة والحياة ، أما تغيير حضارة روحانية ومادية تغلغلت فى جذور الأرض وفى قلوب الناس مئات السنين فأمر يسهل على الناس قبوله !

من الهين عندهم أن تهدم جامعاً لتقيم على أنقاضه معبداً ومن الهين أن تدخل كلاباً إلى كنيسة تحرم دخول الكلاب ، ومن الهين أن تطلق النار على مصلٍّ ليفر أهله ويغلق إلى الأبد ،

من الهين أن تسمى نبياً من أنبياء الله (هرطوقا) أو ابن زنا .
لكن ليس من الهين أن يتنازل السالب عما سلب ، ولا أن يرتد معتدى عن الأرض التى اعتدى عليها بعد أسبوع أو أسبوعين من ارتكاب العدوان .

القضاء على حضارة روحية مضى عليها ألفا سنة ، وعلى مقدسات دينية عزيزة على قلوب مئات الملايين ، أمر يمكن أن يتم بقرار يتألف من أسطر . أما انصياع المعتدى لقرار تسع وتسعين دولة فأمر لا يمكن أن يتم حتى ولو صدر عن دول العالم قاطبة .. هذا هو منطق من يعيش فى القرن العشرين بعد الميلاد بعقلية القرن العشرين قبل الميلاد . والمسألة بسيطة ، إنها فرق أربعين قرناً أو أربعة آلاف سنة ، لا أقل ولا أكثر !!

– وما الذى يبيح لإسرائيل أن تدعى لنفسها الأولوية فى حكم القدس والإشراف على الأماكن المقدسة ؟ وكيف تسوغ أن تضع مقدسات مئات الملايين من مسلمين ومسيحيين بين يدى ثلاثة ملايين أو خمسة عشر مليوناً ؟ .

أولاً : إن إسرائيل تنكر رسالة السيد المسيح عليه السلام إنكاراً تاماً ، وتنعته نعوتاً نعف عن ذكرها . وتنكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام إنكاراً تاماً ، وبالتالى لا تقر قدسية الأماكن التى تتصل بعيسى ومحمد عليهما السلام ، والتى أقامها المسيحيون والمسلمون خلال ألفى سنة أوثلاثة عشر قرناً فكيف يرعى الذئب خرافا ويدعى أنه أهل لرعيها والمحافظة عليها ؟ ! .

والواقع أن المسلمين ، منذ الفتح الإسلامى إلى يومنا هذا صانوا جميع الأماكن المقدسة صيانة أهلها لها ، فمقام إبراهيم وإسحاق وسارة وغيرهم فى الخليل مقامات مقدسة بل هى جزء من المقدسات الإسلامية لا يجوز تدنيسها . وقل مثل ذلك فى سائر المقدسات اليهودية كقبر داود وسليمان وآثار موسى وغيرهم فإن المسلمين صانوها صيانة تامة وعدوها جزءاً من مقدساتهم لا يجوز تدنيسها . وكان ذلك موقفهم من الآثار المسيحية أيضاً لحرمة السيد المسيح وأمه السيدة البتول والحواريين فقد ظلت جميعاً فى حوزتهم كمقدساتهم .

ثانياً : وماذا فى القدس لليهود من آثار دينية ؟ .

إن الذى يدرس تاريخ الآثار الدينية فى القدس يعلم يقيناً أن الأماكن اليهودية المقدسة قليلة جداً لسببين : **أولهما** أن الرومان دمروا القدس - أورشليم - وما فيها من آثار يهودية مرتين ، مرة سنة ٧٠ للميلاد على يد تيطوس ، ومرة سنة ١٣٥ للميلاد على يد هدرايانوس . وبذلك عفت آثارهم كلها . **وثانيهما** : أن الفترة التى ازدهرت فيها الديانة الموسوية قصيرة جداً فحكم داوُد وسليمان لم يتجاوز القرن الواحد ، فى حين طال الحكم الإسلامى ثلاثة عشر قرناً ، أما المسيحيون فالقدس عندهم جماع آثارهم المقدسة وقد أولوها عناية فريدة منذ ظهور المسيحية إلى وقتنا هذا . ولذا فأهم ما لليهود من آثار هو حائط المبكى الذى يظن أنه جزء صغير جداً من سور القدس القديم ، يوم كان هيكل سليمان فى داخلها . والآثار

المسيحية ذات أهمية بالغة لأنها آثار السيد المسيح والحواريين والشهداء ، ولا نظير لها فى أية بقعة فى العالم ، أهمها إطلاقاً : كنيسة القيامة ، ثم طريق الآلام وما أقيمت على جوانبه من كنائس . والآثار الإسلامية كثيرة وجليلة ، حتى إننا لا نغالى إذا قلنا : إن المدينة القديمة متحف زاخر بالمساجد والمدارس والأربطة والزوايا والمقابر ، على رأسها جميعاً تقف الدرتان النادرتان فى العالم الإسلامى وهما : مسجد الصخرة المشرفة ، والمسجد الأقصى . وقد فتن المسلمون بروعة هذه الآثار حتى ألفوا الكثير من الكتب فى فضائل بيت المقدس ، ومن أشهرها وأوسعها كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) للقاضى مجير الدين الحنبلى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ . ومما ورد فى بيت المقدس من أحاديث عن أنس بن مالك قال : (إن الجنة تحن شوقاً إلى بيت المقدس ، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهى صرة الأرض) » رواه الزركشى فى إعلام الساجد بأحكام المساجد »[1]. وفى حديث للرسول ﷺ : [**أن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره**][2]. وفى الصحيحين : [**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام**

---

(١) ص : ٢٨٦ .

(٢) ص ٢٨٧ :

والمسجد **الأقصى**] . وقال الزركشي : إن الصخرة في المسجد الأقصى كالحجر الأسود في المسجد الحرام) .[1]

ثالثاً : من المعلوم أن في الديانات السماوية طوائف وفرقاً كثيرة . ولكل منها موقف خاص من الآثار الدينية وقد نشب الخلاف بين كثير منهم ، وشهد المؤرخون أن المسلمين كانوا رحماء بأصحاب الأديان السماوية، عادلين فى معاملتهم ، منصفين في الحكم بينهم ، وذكر المؤرخان العربيان المسيحيان : خليل طوطح وبولس شحادة فى كتابهما (تاريخ القدس) (أن المسيحيين تمتعوا زمن العرب بالحرية الدينية ورأوا من شممهم وآبائهم وكرم نفوسهم ما لم يروا مثله من الرومان والبيزنطيين المسيحيين أنفسهم) .

وبسبب موقف المسلمين هذا أسند إلى أسرتين مسلمتين فى القدس حراسة كنيسة القيامة - وهى ، كما قلنا ، أعظم المقدسات المسيحية فى العالم - برضا المسيحيين أنفسهم ، وبيدهما مفتاح الكنيسة العظيمة . وحين فتح الجنرال اللنبى القدسى سنة١٩١٧ زار هذه الكنيسة وتسلم مفاتيحها ، ثم سلمها بنفسه إلى الأسرتين المسلمتين لتستمرا فى الحراسة ، وكان بوسع اللنبى أن ينهى حراسة المسلمين لأعظم كنيسة مسيحية ، لكنه لم يفعل يقيناً منه أن المسلمين اتصفوا بالعدل والسماحة ، وأن مقام السيد المسيح عندهم ذو امتياز خاص .

---

(١)ص : ٢٩١ .

ومن المؤلم ، بعد هذا أن يذكر أحد المسئولين الإسرائيليين على الرغم من علمه بالتاريخ أن الأماكن اليهودية المقدسة قد دنست فى أثناء إشراف الأردن عليها .

ونحن نذكر للتاريخ أن جميع المقدسات اليهودية فى القدس ظلت على حالها لم تصب بسوء ، عدا معبد حارة اليهود الذى جرى فى داخله قتال سنة ١٩٤٨ . وقد حافظ المسلمون على أكبر مقبرة لليهود واقعة فى سفح جبل الزيتون ، وزرعوها بالأشجار ، رغم كونها من الأوقاف الإسلامية . وانظر كيف يعطى المسلمون أرضاً موقوفة ليجعلها اليهود مقبرة لهم قرب جبل له قدسيته وحرمته ! .

وينبغى أن نذكر للتاريخ أيضاً أن العلاقة بين العرب واليهود فى القدس كانت علاقة رحمة ومودة طوال الحكم الإسلامى بدليل أن أسرًا يهودية كثيرة كانت تسكن الأحياء العربية داخل المدينة متجاورة بيت بيت ، وأذكر أن والدى - رحمه الله - كان يرسلنى لتفقد نجار يهودى كان يسكن أحد بيوتنا فى القدس القديمة ، وكان الرجل يلقانى بكل ترحاب ويسأل عن والدى ويدعو له بالخير ولم تفسد هذه العلاقة الإنسانية إلا بعد أن ذر قرن الصهيونية ووفد على فلسطين إسرائيليون غرباء من شرقى أوروبا نزع الله من قلوبهم الرحمة وشطوا فى أطماعهم السياسية .

لقد اضطهد الغرب اليهود اضطهاداً متواصلاً منذ التشرد إلى زمن النازية ، وكان العالم الإسلامى ملجأ رحباً لكثيرين منهم ، ولما عجز اليهود عن الانتقام لأنفسهم ممن آذوهم واضطهدوهم كروا على العرب الآمنين الذين أووهم من جوع وآمنوهم من خوف ، يطبقون أسوأ ما تعلموا من ضروب الإرهاب والاضطهاد .

هذه هى الحقائق التى ستقرر مصير القدس ومقدساتها الدينية النادرة ، لا قرار يصدره (الكنيست) ولا تصريحات يتفوه بها مغتصبون حاقدون .

ومن الخير أن يذكر الإسرائيليون أن التاريخ لم ينته ، وأنهم محاطون بالعرب بحشود ضخمة لا قبل لهم على إفنائها ، ممتدة من الخليج إلى المحيط ، وأن الغرب بعيد عنهم ، يرعاهم يوماً ويتنكر لهم أياماً ، كما يحدثهم تاريخهم الطويل ، وأن العرب كانوا دوماً وطوال التاريخ أرحم بهم وأشفق عليهم من حلفائهم اليوم ، وأن ما يقوم على الطيش والحقد والتعصب لا يدوم ، وأن البقاء للحق والعدل والخير ، ولمنطق الزمن السليم أحكامه الثابتة .

***

الفصل الخامس
مكانة بيت المقدس

مكانة بيت المقدس
فى الإسلام

١ - أقدم ما يعرف عن بيت المقدس يرجع إلى الألف الرابعة قبل الميلاد . ففى ذلك الوقت أنشأ الكنعانيون - وهم عرب - مدينة أسموها « يوروسالم » أو « يوروشالم » ، أى منشأة الإله سالم أو شالم . وظل هذا الاسم شائعاً ، منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا ، مع شىء من التغيير ، علاوة على الأسماء الأخرى التى ظهرت فى بعض مراحل التاريخ .

ومن يوروسالم هذه جاء الاسم الغربى Yerusalem المستعمل فى اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وما إليها . ومنه أيضاً جاءت « أورشليم » الواردة فى العهد القديم .

٢ - واستولى العبرانيون على المدينة فى القرن الحادى عشر ق . م . على يد الملك داود الذى اتخذها عاصمة ملكه ، ووحد

الأسباط ، وعزم على بناء الهيكل ، ولكنه توفى فبناه ابنه سليمان ، ونقل إليه تابوت العهد ، وصار الهيكل بيتاً مقدساً يذكر فيه اسم الله .

وانحرف العبرانيون عن الصراط المستقيم ، فعبدوا الأوثان وتنكروا لرسالة الله الواحد الأحد ، وارتكبوا الفواحش وظلموا وتكبروا ، وقتلوا الأنبياء بغير حق ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، وسلط عليهم أعداءهم ، فقضى الآشوريون سنة ٧٢١ ق . م . على مملكة إسرائيل . وقضى البابليون سنة ٥٨٥ ق . م . على مملكة يهوذا ، ودمروا الهيكل ، وسبوهم . وعانى اليهود فى السبى ما عانوا ، ثم أحسن إليهم الفرس وأعادوا من أراد منهم إلى بيت المقدس سنة ٥٣٨ ق . م .

ولكنهم لم يتعظوا بما حل بهم ، ولم يصغوا إلى أنبيائهم فضربهم الرومان مرتين ، مرة سنة ٧٠ب .م على يد الامبراطور تيطوس فلافيوس الذى دمر المدينة وأحرق الهيكل . ومرة سنة ١٣٠ ب . م على يد الامبراطور إيليوس هادريانوس الذى محا المدينة محواً تاماً ، وغير اسمها إلى إيليا كابيتولينا - أى إيليا العظمى - وشتت سكانها .

وحين تنصر الرومان فى القرن الرابع الميلادى اشتدت الوطأة عليهم بسبب غدرهم بالسيد المسيح ، وحرمت المدينة عليهم ، وصار مكان الهيكل قمامة تجمع فيها القاذورات من المدينة ومن خارجها .

وفتح المسلمون المدينة فى السنة السابعة عشرة للهجرة = ٦٣٨م ، وبدأت صفحة جديدة لم يعرف اليهود أجمل منها ولا أكرم .

أزال خليفة المسلمين ، عمر بن الخطاب ، بيده ما تراكم على الصخرة من قاذورات . « وجد على الصخرة زبلاً كثيراً مما طرحته الروم غيظاً لبنى إسرائيل ، فبسط رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل . ومضى نحو محراب داود فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد »[1] . وتتبع المسلمون مساجد الأنبياء ، واحداً واحداً ، ابتداء من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس ، فأعادوا بناءها ، وحافظوا على قدسيتها ، وطهروها تطهيراً .

وبدأ اليهود ، بعد الفتح الإسلامى ، يعودون إلى المدينة للزيارة ، ثم للعمل والسكن والعبادة ، بعد أن حرموا من ذلك حرماناً تاماً زمن الرومان ، وثنيين ومسيحيين . وأسند إلى أفراد منهم خدمة المسجد الأقصى وعمل « القناديل والأقداح والثريات وغير ذلك ، لا يؤخذ منهم جزية .. جارياً عليهم وعلى أولادهم أبداً ما تناسلوا من عهد عبد الملك وهلم جرا »[2] . ثم أنشأوا المراكز الدينية فى طبرية وصفد والخليل وبيت

---

(١) مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل ، القاهرة ١٢٨٣هـ ، ج١ ص١٥٣ ، ٢٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص٢٤٩ ، ٢٥٠ .

المقدس . وبعد طردهم من أسبانيا سنة ١٤٩٢م ذهب عدد كبير منهم إلى الشرق العربى . وفى خلال سنوات قليلة ، انضم إلى يهود القدس ١٣٠ أسرة من أسبانيا ، حتى بلغ عددهم فيها ١٥٠٠ نسمة . واستمر تدفقهم على المدينة وصار عددهم سنة ١٥٢٢ ، ١٣٠٠ أسرة (١) .

لم يفرق المسلمون ، زمن حكامهم الورعين ، بين أصحاب الديانات السماوية ، كما لم يفرقوا بين أنبياء الله . وصارت لهم ذمة ترعى ، وعهد يحفظ . وقامت فى بيت المقدس حضارة روحانية فذة ، وتلاصقت المساجد والكنائس والمعابد ، وارتفع اسم الله عالياً ، واطمأنت القلوب وانشرحت الصدور . ولم يخل الحال من أوقات ضيق عانى منها جميع السكان ، ولكنها لم تشتد حتى تبلغ محاكم التفتيش أو حرق المعابد ومحو آثار الأنبياء .

وأراد اليهود فى هذه المرحلة السمحة أن يحرفوا اسم المدينة الكنعانى القديم ، فأطلقوا عليها اسم « يروشالايم » بدل « يوروشالم » - بإضافة لاحقة عبرية - كى تصبح عبرية النطق . ولكن جميع الشواهد الأثرية والتاريخية واللغوية تثبت أن الاسم كنعانى قديم ، وأن التحريف طارىء .

وغلب على المدينة ، بعد الفتح الإسلامى ، اسم « بيت المقدس » أو « البيت المقدس » ، وهو دليل صدق على أن من

(١) دائرة المعارف اليهودية ، لندن ١٩٠٤ ج ٧ ص ١٣٢ .

استعمله أراد لهذه المدينة أن تكون مقدسة طاهرة خالصة لله تعالى ، يؤمها المؤمنون جميعاً للعبادة والطهارة ، وأن ينتهى عهد الحرق والتدمير والتحريم والتفتيش .

٣ - دام حكم المسلمين ثلاثة عشر قرناً ، خلا قرناً واحداً تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء على بعض أجزاء من فلسطين وعلى بيت المقدس . وهذه أطول مدة فى تاريخ المدينة المقدسة ذاقت فيها حلاوة الأمن والاستقرار ، وأطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف دون استثناء . وعنى المسلمون بالمدينة عناية فائقة لأربعة أسباب :

الأول : لأن الله خصها بالعديد من الأنبياء ، ابتداء من أبيهم إبراهيم عليه السلام إلى عيسى ابن مريم عليه السلام . عن ابن عباس قال : « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى أو قام فيه ملك »[1] .

الثانى : لأن الله خصها بإسراء رسوله وحبيبه المصطفى ﷺ فقال فى كتابه العزيز ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾[2] .

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ١١٢/١ ، والأنس الجليل ٢١١/١ ، وإعلام الساجد ٢٨٣ .

(٢) سورة الإسراء : ١ .

الثالث : لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .
روى الطبرى فى تاريخه عن قتادة قال : « كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة . وبعدما هاجر رسول الله وصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً (1) .
وروى البخارى قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**] (2) .
وروى السيوطى فى الجامع الصغير : « عن زهير بن محمد بلاغاً عن النبى ﷺ : إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس » (3) .
الرابع : لأن المسلمين عدُّوا المدينة الثغر الذى يمكن أن يدخل منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر رسول الله ﷺ . ولذا ما استقر بهم الأمر حتى بادروا إلى سد هذا الثغر وحمايته كى يدرأوا عنهم خطراً مروعاً .
ولهذه الأسباب الأربعة لم يمض عهد من عهود الإسلام إلا أضاف المسلمون إلى المدينة جديداً ، وأصلحوا قديماً .

---

(1) تاريخ الطبرى ٢/٢٦٥ ، والأنس الجليل ١/١٧٢ .
(2) البخارى ٢/١٣٨ .
(3) ج ١ ص ٢٢٧ .

بنوا فى عهد عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة ، وأنفقوا عليه خراج مصر لسبع سنوات . ثم بنوا فى عهد ابنه الوليد المسجد الأقصى - أو مسجد عمر - فكانا من أجمل وأروع ما بناه المسلمون فى حواضرهم ، بل من أجمل ما خلده الفن المعمارى من آثار فى العالم . وأوقفوا عليهما معظم الأراضى المحيطة ببيت المقدس . وتقرب الخلفاء والأمراء والصالحون إلى الله تعالى بتعمير هذين المسجدين وخدمتهما ، وإضافة العديد من المساجد والقبب والمحاريب والأروقة والمآذن والمدارس حتى أضحت المدينة متحفاً لا مثيل له ، يعلو اسم الله فى كل جنباتها .

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والأروقة مدارس يدرسون فيها علوم الدين . وقصد معظم الحجيج بيت المقدس ، فى ذهابهم إلى بيت الله الحرام وفى عودتهم منه ، حتى أضحت المدينة المقدسة مزاراً يتبرك به المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة . واستحبوا الإحرام بالحج والعمرة منه . ففى سنن أبى داود من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : [**من أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه**] [1] وأحرم منه جماعة من السلف كابن عمر ومعاذ وكعب الأحبار وغيرهم .

---

(1) إعلام الساجد ص ٢٨٩ .

وتعلقت قلوب المسلمين بالمدينة ، وحنوا عليها ، وافتدوها بالمهج ، وأحاطوها بالرعاية ، وعبروا عن شعورهم هذا فيما كتبوا من رسائل وكتب فى « فضائل بيت المقدس » [1] .

روى ابن ماجة فى سننه عن ميمونة مولاة رسول الله قالت : قلت يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس قال : [**أرض المحشر والمنشر ، إيتوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره**] ، وروى عن رسول الله ﷺ قوله : [**من مات فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء**] .

وعن ابن عباس قال : [**من حج وصلى فى مسجد المدينة والمسجد الأقصى فى عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**][2] . وعن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ [**من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس**][3] .

وعن أنس بن مالك قال : « إن الجنة تحن شوقاً إلى بيت المقدس ، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهى صرة الأرض » [4] .

---

(1) نذكر منها (فضائل بيت المقدس) لابن المرجى المقدسى ، و (الأنس فى فضائل القدس) لابن هبة الله الشافعى ، و (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) لابن سرور ... إلخ .

(2) إعلام الساجد ص ٢٨٦ ، ٢٩٦ .

(3) الأنس الجليل ١/٢١١ .

(4) إعلام الساجد ص ٢٨٦ .

ودفن فى المدينة عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين منهم الصحابى عبادة بن الصامت الأنصارى ، والصحابى شداد ابن أوس ، والزاهدة أم الخير رابعة العدوية ، والمتكلم محمد ابن كرام صاحب الفرقة الكرامية ، والمحدث بكر بن سهيل الدمياطى .

٤ - يزعم الإسرائيليون اليوم أن بيت المقدس لهم بمثابة الرأس للجسم .. ونحن نسأل . أين بيت المقدس هذا الذى يتحدثون عنه ؟ إنه أورشليم التاريخية التى هدمها الرومان مرتين وأزالوا اسمها من الوجود ، وهى التى تنبأ السيد المسيح بخرابها حين قال : « يا أورشليم يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » . وحين قال لأحد تلاميذه : « انتظر هذه الأبنية العظيمة ، لا يترك حجر على حجر لا ينقض » . بل إن نبيهم سليمان تنبأ لها بهذا المصير حين قال لهم : « فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتم إياها ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى » .

أورشليم تلك التى اندثرت بسببهم هم . ثم جاء المسلمون وفتحوا المدينة دون قتال . لم يأخذوها من اليهود ، بل أخذوها من الرومان أعداء اليهود ، وحافظوا على كنائسها ومعابدها . وفى أثناء الحكم الإسلامى وحده شرع اليهود يعودون إليها ويقيمون فيها المعابد والمعاهد وفق الشروط التى وضعها

الإسلام لأهل الذمة . ثم إن المسلمين فى أثناء الاثنى عشر قرنًا التى حكموا فيها فلسطين اتخذوا بيت المقدس عاصمة لهم ، وتملكوا أرضها بالطرق الشرعية ، وأوقفوا أكثرها على الخير والبر والعبادة . ولم تهدم المدينة ولم تحرق طوال حكمهم . ثم إنهم بنوا المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والبيوت بأموالهم وعرق جبينهم ، وظلوا فيها مرابطين صابرين . واختلطت دماؤهم وعظامهم بتربتها ، فبأى حق - بعد هذا - يدعى الإسرائيليون اليوم أنها مدينتهم المقدسة ؟ إذا كان بحق ا لتاريخ ، فالتاريخ يحكم بأن مدينتهم تلك اندثرت كلية منذ ثمانية عشر قرنًا . وإذا كان بحكم البناء فالتاريخ يحكم بأن المسلمين هم الذين بنوا وعمّروا . وإذا كان بحكم الملكية . فالتاريخ يحكم بأن المسلمين هم المتملكون مدة اثنى عشر قرنًا .

ولننظر إلى الموضوع من ناحية إنسانية أو دولية . فى العهد الإسرائيلى القصير عارك اليهود الرومان وثنيين ومسيحيين ولم تعرف المدينة سلمًا ولا أمنًا . وفى العهد الرومانى ، الوثنى والمسيحى ، تعارك الرومان واليهود ، ولم تذق المدينة أمنًا . أما فى العهد الإسلامى فقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود فى أمن وسلام . والأرض التى أنشأ عليها اليهود معابدهم ومقابرهم ومساكنهم أخذوها من المسلمين . وفى العهد الإسلامى وحده حفظت المعابد اليهودية من الدمار . وذهب المسلمون فى حفظها ورعايتها إلى حد أن جعلوها بمثابة مساجدهم ، وهذا الموقف طبيعى ، لأنه مستمد من عقيدتهم

التى تؤاخى بين الأنبياء جميعًا دون تفرقة ، واليهود لا يمكن أن يقفوا هذا الموقف لأنهم ينكرون رسالة عيسى ابن مريم ومحمد ابن عبد الله ، عليهما السلام ، وبالتالى لا يقرون بقدسية الآثار المسيحية والإسلامية ، ولا يمكن أن يؤتمنوا عليها . والمسلمون يتسمَّون بأسماء أنبياء بنى إسرائيل . وفى أسرتى الصغيرة أسماء إبراهيم وإسحاق وموسى وداود وسليمان . فأية رحمة يريد الإسرائيليون أكثر من هذه الرحمة ، وأية رعاية يبتغون أجل وأعظم من هذه الرعاية ؟

وماذا فعل الإسرائيليون مقابل هذه السماحة فى المدة القصيرة التى حكموا فيها فلسطين ، منذ سنة ١٩٤٨م ؟ صادروا أملاك العرب ، مسلمين ومسيحيين ، واستولوا على نحو ألف مسجد ، وهدموا عدداً كبيراً من المساجد والكنائس والأضرحة وصادروا مليون دونم موقوفة [١] ، واضطهدوا رجال الدين ، وقتلوا مئات الأبرياء ، بالغدر حينًا وباسم القانون الذى سنوه حينًا آخر .

أما بيت المقدس الذى انتهكوا حرمته أواسط سنة ١٩٦٧م ففى خلال أشهر دمروا بيوتًا برمتها ، وشردوا أهلها ، واعتدوا على الكنائس والمساجد فسرقوا منها بعض آثارها النادرة ، وأغلقوا عدداً من بيوت الله وحالوا دون العبادة فيها . وماذا عساهم أن يفعلوا لو استقر بهم المقام ؟ سيمحون الآثار المسيحية قبل الإسلامية ، وسيطاردون الرهبان والقساوسة

---

(١) المقدسات الإسلامية فى فلسطين ، القاهرة ١٩٥٠م ص ٢٧ .

قبل الشيوخ ، وسينتقمون من المسيحية والمسيحيين شر انتقام . وليست هذه نبوءة . إنها استنتاج من مبادئهم وكتبهم .

٥ - أيها المسلمون :

وماذا أنتم فاعلون ؟ هل تتركون المسجد الأقصى والصخرة المشرفة والحرم الشريف وقبور الصحابة والأولياء والمجاهدين ، فى ظلام الاستعمار الإسرائيلى الغادر ؟ هل تقفون مكتوفى الأيدى إزاء حرب الإبادة التى يشنها على إخوانكم إسرائيليون حاقدون ؟ .

وكيف تقابلون وجه الله يوم القيامة ؟ وهل تتركون الكعبة المشرفة وقبر الرسول عرضة للغزو والدمار ؟ .

يا سيدى يا رسول الله : يا أبا القاسم :

إنى أتوجه إليك فى هذه الساعة الحرجة من تاريخ أمتك وقلبى يقطر دمًا . أغثنا يا رسول الله . املأ قلوبنا بالإيمان . وحِّد صفوفنا . إنا نبايعك على أرواحنا وأولادنا وأموالنا . إن مسراك ومعراجك وقبلتك الأولى ومساجد يذكر فيها اسم الله واسمك تئن وتشكو وتستغيث .

على قبة المعراج والصخرة التى
تفاخر ما فى الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت مـــن تلاوة
وتنزيل وحى مقفر العرصات [1]

---

(١) للحافظ شمس الدين سبط بن الجوزى .

شدَّ عزائمنا يا رسول الله . إنا نريد أن نموت ليعلو اسم الله ، ولترتفع تكبيرات المؤمنين على المآذن بـ « الله أكبر : الله أكبر » .

يا أبا القاسم : يا رسول الله :

أغثنا . لا تتخل عنا . فنحن لن نتخلى عنك . قُدنا إلى الجهاد . خير لنا أن نموت دفاعًا عن مقدساتنا وأعراضنا وأوطاننا التى انتهكت من أن نحيا عبيدًا أذلاء .

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[1] .

---

(١)التوبة:١١١.

الفصل السادس

فضائل بيت المقدس

فضائل بيت المقدس

عثرنا فى مكتبة الأزهر الشريف على مجموع يضم المخطوطات التالية :

١ - (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى)
لشهاب الدين أبى العباس السيوطى .

٢ - (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام)
لأحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال القدسى .

٣ - (باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس)
لشيخ الإسلام برهان الدين بن إسحاق بن تاج الدين الفزاوى الشافعى .

٤ - (الأسنى فى محل الإسرا فى فضائل المسجد الأقصى)
لأبى المعالى بن المرجى بن إبراهيم المقدسى .

٥ - (المستقصى فى زيارة المسجد الأقصى)
للحافظ بهاء الدين بن عساكـــــر

وقد رأينا أن نثبت فصلا مما ورد فى المخطوط الأول فى فضائل بيت المقدس للدلالة على ما لهذه المدينة المقدسة من مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين .

« وأما فضائله فلا تحصى ، ولا تستقصى . والذى يدل على فضله من كتاب الله عز وجل : ﴿ **سبحـان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية ، وبجميع البركات وافية . لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضعفة ولأن الله تعالى لما أراد أن يعرج بنبيه ﷺ إلى سمائه جعل طريقه عليه تبييناً لفضله ، وليجمع له فضل البيتين وشرفهما .

ومنها قوله تعالى لإبراهيم ولوط عليهما السلام : ﴿ **ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين** ﴾[2] . والمراد به بيت المقدس .

---

(١) الإسراء : ١ .　　(٢) الأنبياء : ٧١ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **والتين والزيتون** ﴾[1] . قال عقبة ابن عامر : التين : دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾[2] .

وهو سور بيت المقدس باطنه باب الرحمة ، وظاهره وادى جهنم سلمنا الله من عذابه .

ومما يدل على فضله من السنة ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا**] .

وفى لفظ آخر من رواية ابن سعيد الذرى - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، وإلى مسجدى ، وإلى بيت المقدس . ولا صيام فى يومين يوم الأضحى ويوم الفطر ، ولا صلاة فى ساعتين بعد صلاة الغداة إلى طلوع الشمس ، وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس . ولا تسافر امرأة إلا مع زوج أو ذى محرم**] .

وعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قلت ثم

---

(١) التين : ١ .

(٢) الحديد : ١٣ .

أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قال قلت : كم بينهما قال : أربعون سنة قال فأيهما أدركت الصلاة فصل فهو مسجد .

وعن عمران بن حصين أنه قال قلت يا رسول الله : ما أحسن المدينة ! قال كيف لو رأيت بيت المقدس ! قلت وهو أحسن ؟ فقال ﷺ وكيف لا يكون ، وكل من بها يزار ، ولا يزور ، وتهدى إليه الأرواح ، ولا يهدى الروح ، ولا يهدى روح بيت المقدس إلا أن الله أكرم المدينة وطيبها بى . فأنا فيها حى وأنا فيها ميت . ولولا ذلك ما هاجرت من مكة . فأنا ما رأيت القمر فى بلد قط إلا وهو بمكة أحسن .

وقال كعب : لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس فينقادان إلى الجنة جميعًا ، وفيهما أهلهما . والعرض والحساب ببيت المقدس .

وقوله تعالى : **﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾**[1] ، نزلت فى منع الروم المسلمين من بيت المقدس ، فأذلهم الله ، وأخزاهم فلا يدخله أحد منهم إلا وهو خائف متلفع ثوب الخزى والهوان والصغار .

وقال عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - : إن الحرم لحرم فى السماوات السبع بمقداره فى الأرض وإن بيت المقدس

---

(١) البقرة : ١١٤ .

لمقدس فى السماوات السبع بمقداره فى الأرض .

وقال كعب إن الله ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مرتين .

وقال : باب مفتوح من السماء ينزل منه الحنان والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس**] .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « إن الجنة لتحن شوقًا إلى بيت المقدس » . وقال : « من أتى البيت الحرام غفر له ، ورفع له ثمان درجات . ومن أتى مسجد الرسول غفر له ورفع له ست درجات . ومن أتى بيت المقدس غفر له ورفع له أربع درجات » .. وقال : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ببيت المقدس فى كل يوم خمسًا وعشرين مرة وقاه الله المتالف ، وأدخله فى البدلاء » .

وعن خالد بن معدان أن حذو بيت المقدس باب من السماء يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلى فيه .. وعنه ﷺ أنه قال : [**إن لله بابًا مفتوحًا فى سماء الدنيا نحو بيت المقدس ينزل كل يوم منه سبعون ألف ملك يستغفرون الله لمن أتى بيت المقدس فصلى فيه**] .

وقال ابن جريج عن عطاء أنه قال : لا تقوم الساعة حتى يسوق خيار عباده إلى بيت المقدس ، وإلى الأرض المقدسة فيسكنهم إياها .

وقال عبد الله بن عمر : بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء ، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك ، أو قام عليه ملك .

وقال النعمان بن عطاء : ما من موضع فى بيت المقدس إلا وقد سجد عليه ملك أو نبى . فلعل جبهتك أن توافى جبهة ملك أو نبى .

وقال مقاتل بن سليمان : ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبى مرسل أو قام عليه ملك مقرب .. وقال : صخرة بيت المقدس وسط الدنيا . وإذا قال العبد لصاحبه انطلق بنا إلى بيت المقدس يقول الله تعالى : يا ملائكتى اشهدوا أنى قد غفرت لهما قبل أن يخرجا . هذا إذا كانا لا يصران على الذنوب . قال : إن الله تعالى تكفل لمن سكن ببيت المقدس بالرزق ، وإن فاته المال . ومن مات مقيماً محتسباً فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء . ومن مات حول بيت المقدس فكأنما مات فى بيت المقدس ، وأول أرض بارك الله فيها بيت المقدس . وردُّ الله ملك سليمان عليه السلام فى بيت المقدس . وبشر الله زكريا بيحيى فى بيت المقدس . وسخر الله تعالى لداود الجبال والطير ببيت المقدس . وكان الأنبياء عليهم السلام يقربون القرابين ببيت المقدس . وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ببيت المقدس . وولد عيسى عليه السلام وتكلم فى المهد صبياً ببيت المقدس . ورفعه الله إلى السماء منه ، وينزل إلى الأرض من السماء ببيت

المقدس . وينظر الله تعالى فى كل يوم بخير إلى بيت المقدس . وأعطى الله البراق للنبى ﷺ فحمله إلى بيت المقدس . وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس . وصلى نبينا ﷺ إلى بيت المقدس . وركب البراق إلى بيت المقدس . وأهبط به من السماء إلى بيت المقدس . وكفل زكريا مريم عليهما السلام ببيت المقدس . ومن سره أن يمشى فى روضة من رياض الجنة فليمش فى صخرة بيت المقدس . وأيد الله عيسى عليه السلام بروح القدس ببيت المقدس وأتى الله الحكم ليحيى صبيًا فى بيت المقدس .

ونشر الله الأنبياء كلهم لرسوله ﷺ فصلى بهم فى بيت المقدس .

وقال ﷺ : إن خيار أمتى ستهاجر هجرة بعد هجرة إلى بيت المقدس . ومن صلى ببيت المقدس بعد أن يتوضأ ويسبغ الوضوء ركعتين أو أربعا غفر الله ما كان قبل ذلك . وفى رواية من صلى ببيت المقدس خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . ومن صبر ببيت المقدس سنة على لأوائها وشدتها جاءه الله برزقه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه يأكل رغدًا أو يدخل الجنة إن شاء الله .

وقال النبى ﷺ لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه : التجاء التجاء إلى بيت المقدس إذا ظهرت الفتن . قال يا رسول الله فإن لم أدرك بيت المقدس قال : فابذل واحرز دينك ، وفى

لفظ فابذل مالك ، واحرز دينك . ولذلك قال عليٌ رضى الله عنه لصعصعة نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت المقدس القائم فيه كالمجاهد فى سبيل الله .. وليأتين زمان يقول أحدهم ليتنى تبنة فى لبنة فى بيت المقدس . وأحب الشام إلى الله بيت المقدس ، وأحب جبالها إليه الصخرة .

وبعد فهل يستطيع بنو إسرائيل أن يزعموا أن بيت المقدس هو مدينتهم وحدهم دون سواهم ؟

وإذا تمكن الإسرائيليون من هذه المدينة - لا سمح الله - فما مصير الآثار الإسلامية والمسيحية ؟ ومن يحميها من الدمار ؟

إن الإسرائيليين ينكرون رسالة عيسى ومحمد - صلوات الله عليهما - وإذن لا يمكن أن يؤتمنوا على آثارها .

أما العرب والمسلمون فهم حماة هذا التراث الروحانى ، وهم عليه مؤتمنون ، وله صائنون .

فليتدبر المسيحيون الغربيون هذا الكلام وليحذروا يوماً يندمون فيه ولات ساعة مندم .

* * *

محتويات الكتاب

...

الموضـــوع الصفـــحة

ترقبوا فى العدد القادم

الجذور التاريخية والجسور الحضارية

بين الإسلام والغرب

أ. د. محمد محمد أبو ليلة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر